سينما

شيءٌ من يوميات بيروتية

أيّ دفن مؤجَّل هذا؟

يزداد خراب بيروت يوماً تلو آخر، وصالات السينما تفتح أبوابها، والسهرات الليلية تنتشر هنا وهناك، رغم أنّ المتعة مفقودة، والقلق طاغٍ

نديم جرجوره

بيروت 2021: اي صمتٍ هذا؟ اي فراغ؟ (حسام شبارو/ الأناضول)

العيش اليومي في بيروت مُصابٌ بأعطابٍ غير مُتناهية. كلّ شيءٍ ينهار. أبسط ركائز العيش، من مأكل ومشرب وطبابة وأمن اجتماعي، تختفي بسرعة مخيفة. الأعطال، في أبرز الحاجات (كهرباء، مياه، إنترنت، اتصالات هاتفية خلوية)، تُنبئ بمصيرٍ قاتم، تُرسّم ملامح منه بكثرة في كلّ لحظة. يتحوّل العيش اليومي إلى جحيم، كنبوءة رئيس البلد ذات مرة غير بعيدة. الجحيم يتحرّر من صورته المتخيّلة، ويتّخذ شكلاً حيّاً، يُشبه أولئك الموتى الأحياء، الذين ينهشون أجساد أحياءٍ يُصبحون موتى.

أسوأ الحاصل، صمتٌ كثيرين يرتضون لأنفسهم خراباً كهذا. كلّ كلام عن عجز الغالبية عن حراكٍ، بالقول أو بالفعل، باطلٌ. كلّ تبرير يقول بوفرة وجع وهزائم ومآزق في تلك الغالبية، يمنعها من حراكٍ، باطلٌ. كلّ حراك، إنْ يبقَ حراكاً أو يُصبح انتفاضة أو يتحوّل إلى ثورة، ينبثق من وجع وهزائم ومآزق، تُصيب العصب الأساسيّ لعيشٍ آمن. الصمت اللبناني قاتلٌ، رغم أنّ العصب الأساسي نفسه مُصابٌ بأهوالٍ شتّى. عنف الصمت أقسى من فسادٍ ونهبٍ وإجرامٍ متنوّع الأشكال، تمارسه سلطة علىٰ بلدٍ وناسه. لا مُبرّرَ واحداً لهذا الصمت، فأسباب الغضب والانتفاض كثيرةٌ، تُختزَل بواحدٍ: الإهانة. هناك سلطة تُهين الناس، والناس يقبلونها بصمتٍ، وبعضٌ يُبرِّر الصمت بوجع وهزائم ومآزق. هذه دائرةٌ مُميتة. دائرةٌ تضيق شيئاً فشيئاً على كلّ ساكنٍ فيها، فتغتاله ببطء، يحتمله كثيرون، وهذا مرضٌ. دائرةٌ تخنق، رويداً أو سريعاً، كلّ باقٍ فيها، استسلاماً، أو عجزاً عن المغادرة، أو رغبةً في تعذيب الذات، أو تمكّناً من اكتفاءٍ ذاتيّ، وإنْ يكن مؤقّتاً. دائرةٌ تُجرّد هؤلاء من كلّ إحساس أو انفعال، وتمنع عنهم كلّ قولٍ أو بوح، مع أنّ أفعالها بهم سببٌ أبرزُ لإنعاش إحساس، ولإحياء انفعال، ولإطلاق قول، ولإعلان بوح. دائرةٌ تمنح الخرابَ مُعجزة ابتكاراتٍ، تولّد مزيداً من خرابٍ وصمتٍ. دائرةٌ يفوح منها عفنٌ، فينتشي بُها كلّ ساكنٍ فيها.

الصُور غير سينمائيةٌ. الواقع أعنف وأقسى وأبشع وأسوأ. هناك ميلٌ إلى قناعةٍ، تقول إنّ عدسة الكاميرا السينمائية أضيق من أنْ تلتقط وقائع كهذه، وأعجز من أنْ تُفبرك حياةً كهذه. الوحوش متفلّتةٌ. التنانين تتنزّه في أزقّة ونفوسٍ. كثيرون غير مُبالين، وغالبيتهم تُغذّي الوحوش والتنانين، بصمتها وانكفائها واستسلامها، وباكتفاءاتها الذاتية، والاكتفاء الذاتيّ مرضٌ، لا أسلوب حياة. عبقرية المتخيّل غير مُتمكّنة من إدراك الحاصل، فكيف بابتكار شكلٍ له، أو صدى؟ الصُور غير السينمائية أنجعُ من كلّ مُتخيّل في قولٍ واقعٍ غير مسبوق، وفي فضح معروفٍ.

الدائرة تضغط على كلّ كتابةٍ، كضغطها على كلّ سعيٍ إلى حياةٍ وعيشٍ. أيّ لذّة تصنعها مُشاهدةٌ، عبر شاشة صغيرة أو في صالة كبيرة؟ أيّ مُتعةٍ تنشأ من كتابةٍ عن فيلمٍ، أو عن مسألةٍ يُصوّرها فيلمٌ، أو يناقشها سينمائيّ، أو تتناولها ممثلةٌ؟ أيّ تراكمٍ يحصّن الكتابة من نزوع كهذا إلى هاويةٍ أخيرة، أو إلى فخّ أبديّ؟ المهنة تريد كتابةً ومُشاهدة ونقاشاً. لكنْ: أيّ كتابة وأيّ مُشاهدة وأيّ نقاش يصلح للمهنة، في دائرة الموت تلك؟ التعب كبير. الشاشة، رغم أملٍ قليل وفرحٍ أقلّ، تنطفئ مع كلّ حاجةٍ إلى مُشاهدةٍ لممارسة المهنة. صالات لبنانية تفتح أبوابها، وشاشاتها تعرض أفلاماً. هذا مُنتظرٌ منذ وقتٍ، لكنّ ثقل الخراب يحول دون وثوقٍ بقدرة الصالات على إثارة بهجةٍ، ودون فرحٍ بتحقّق رغبةٍ. مجلات أجنبية في مكتباتٍ بيروتية تريد قارئاً، لكنّ القرّاء قلائل في زمن راحةٍ مفقودة، فكيف في زمن اضطرابٍ وحُطام كهذا؟ كتبٌ عربية، مطبوعة محلّياً، تُثير بعض عناوينها حماسة اقتنائها، لكنّ شيئاً خفيّاً في ذاتٍ مُرهَقة ينقضّ على الحماسة، فيُنهيها. بيروت تخنق. ناس المدينة يتوتّرون ويوتّرون. بعض هؤلاء يكترث بمسرح أو صالةٍ أو مكتبةٍ أو مقهى أو حانة أو مطعم أو ملهى ليلي، لكنّه أكثر توتّراً من آخرين، وأقدر على إثارة توتّر. كثيرون يبحثون عن مأكلٍ ودواء، وكثيرون يجلسون ساعاتٍ في مقهى أو حانة أو مطعم أو ملهى ليليّ. منطقة «مار مخايل . الجميزة»، المُصابة بانفجار مرفأ بيروت (4 أغسطس/ آب 2020)، تسهر على صخَب روّاد حانات ومطاعم وملاهٍ ليلية، كأنْ لا أزمة ولا خراب ولا موت. تبرير هذا كامنٌ في «رغبة الحياة»، أو في «تعاطفٍ» مع خراب المنطقة، وحاجتها إلى النهوض. شارع الحمرا مُغلق، وبعض المفتوح فيه يقتات فتاتاً لقليلٍ من نبضٍ أخير. البلد مُعطّل. صوتُ الصمت أقسى وأبشع من ضجيج الفساد والنهب والإجرام. قسوة الفراغ غير قابلة للوصف.

أيّ فيلم يؤرّخ موتَ أحياءٍ وهم صامتون؟ أيّ عدسةٍ تَلتقط أشباح خيالاتٍ لأناسٍ يظنّون أنّهم أحياء؟ أيّ دفنٍ مؤجّل هذا؟

> عنف الصمت أقسى من فساد ونهب وإجرام سلطة على بلد وناسه

«شاشات الواقع» في العاصمة اللبنانية

وثائقيات سينمائية عن عالم مضطرب

عباس فاضل: اطفال يفتحون دربا إلى معاينة عوالم (ماركو تاكّا/ Getty)

نشاطٌ لـ«جمعية متروبوليس» في بيروت يُجدِّد التزاماتها إزاء السينما واشتغالاتها. «المهرجان الدولي للسينما الوثائقية . شاشات الواقع» أحد تلك الاشتغالات. إطلاق دورة جديدة له يستكمل عودة الجمعية إلى بيروت والسينما. النسخة الـ16 مُقامة بين 18 يونيو/ حزيران و30 يوليو/ تموز 2021. الجغرافيا تتّسع لمدنٍ وبلدات، من بيروت وصور إلى البقاع والشوف والمتن. اتّساع الجغرافيا يبدو منسجماً مع طارئ يتمثّل بكورونا، وبشروطه في كيفية استعادة حيوية السينما والفنون والعيش خارج جدران العزلة والتباعد: عرض الأفلام في المناطق، بدلاً من مجيء المُشاهدين إلى مكانٍ واحد.

20 فيلماً وثائقياً، مُنتجة كلّها بين عامي 2019 و2021. هذا مكسبٌ. مشاهدتها في صالاتٍ وقاعات مختلفة في لبنان مكسبٌ أيضاً. الوثائقي يزداد حضوراً، ومواضيع عدّة تصلح له. اللبناني إيلي كمال يستعيد تاريخ السكك الحديدية في لبنان، راسماً بذلك خريطة زمنية وثقافية واجتماعية لبلدٍ ومحطّات وأجيالٍ وسياسات وحروبٍ، عبر صُور تكتفي بما تحمله من تفاصيل («بيروت، المحطّة الأخيرة»، 2019). الفلسطيني كمال الجعفري يستعين بتسجيلات كاميرا مراقبة، يضعها والده أمام المنزل، لمعرفة من يُحطّم زجاج سيارته، قبل أنْ تتحوّل إلى فيلمٍ نابضٍ بحياة ومرحلةٍ وهوامش وأناسٍ («صيف غير عادي»، 2020). المصرية ماريان خوري تحاور ابنتها سارة في شؤونٍ عائلية وعلاقاتٍ وذاكرةٍ وارتباطات وهواجس («احكيلي»، 2019). السودانيّ صهيب قاسم الباري ينفض غباراً عن حالة سينمائية سودانية قديمة، راوياً حكاية بلدٍ يُعطّل السينما وأنماط الحياة سنين طويلة («حديث عن الأشجار»، 2019). الجزائرية الفرنسية لينا سويلم تُقابل جدّيها لوالدها، المتزوّجين منذ 60 عاماً، و«المُغتربين» في فرنسا المدّة نفسها تقريباً، لتوثيق سيرة أناس وهجرة ووطن ومنفى وعلاقاتٍ وحبّ وانفصال.

الهجرة موضوعٌ حاضرٌ في أفلامٍ عدّة. اللبناني وسام طانيوس يُرافق قريبَين له من دمشق إلى الهجرة الأوروبية، مروراً بلبنان («نحن من هناك»، 2020). اللبنانية ليلى بسمة تبحث عن عمّها المهاجر منذ زمنٍ، عند بلوغه المراهقة، رغبةً منه في احتراف الرقص الشرقيّ، تاركاً أشياء تُلهمها في بحثها المعرفيّ عنه («مشروع آدم بسمة»، 2020). مع اللبنانية ميرا عضيمة، هناك رحلةٌ معاكسة، لن تكون هجرة بل بحثاً، هنا أيضاً، تقوم به امرأة عن رجلٍ تعرفه منذ أعوامٍ في أيسلندا، قبل اختفائه. زيارتها بيروت دافعٌ إلى تجوّل بين أبنية ومعالم وفضاءاتٍ مختلفة («رحيل»، 2020).

العراقي الفرنسي عباس فاضل يختار لاجئين سوريين في لبنان، مرافقاً إياهم في يوميات عيشهم القاسي، خصوصاً في شتاءٍ قارسٍ: «مرّة أخرى، الأطفال هم بابٌ يُفتح على عالمٍ آخر. كثيرون منهم مولودون في تلك المخيّمات، ويُشكّلون عالماً صغيراً إزاء ذاك الذي للبالغين»، كما في تعريفٍ بشغله الأخير («حقّ الخبزات»، 2019).

هذه نماذج. في البرنامج، أفلامٌ عدّة تُثير تساؤلاتٍ مستلّة من عالمٍ متقلّب ومضطرب، ومن أفرادٍ يعيشون قلقاً ومخاوف.

> أفلامٌ تُثير تساؤلات مستلّة من عالمٍ متقلّب ومضطرب

ندي...

أفلام جديدة

■ Penguin Bloom لغلدين إيفن، تمثيل ناعومي واتس (الصورة): تتعرّض سام بلوم لحادثٍ خطر، يُفقدها القدرة على استخدام قدميها. تحاول التأقلم مع الحالة الجديدة، لكنّها وحيدة، ومع هذا ستحصل على مساعدة طائر صغير يُدعى بنغوان. الفيلم مستوحى من قصّة حقيقية، ويُعرض حالياً على شاشة المنصّة الأميركية «نتفليكس».

■ Flora And Ulysse للِنا خان (الصورة): يجمع الفيلم بين المغامرة والضحك والمفارقات الإنسانية، من خلال حكاية لقاء بين فلورا (10 أعوام)، عاشقة القصص المُصوّرة والتهكّم، وسنجاب يُدعى أوليس، لديه قوى خارقة تُثير مشاكل ومواقف، بل كوارث أحياناً، مُضحكة للغاية. اللقاء نقطة انطلاق لفلورا في مغامرة وتجربة مختلفتين لها.

■ Love And Monsters لمايكل ماتيوس، تمثيل جيسيكا هانويك (الصورة) وديلان أوبراين: بعد 7 أعوام على نهاية العالم ونجاة قلّة من الناس، يُقيمون في مستوطنات تحت الأرض، يُقرّر جويل الخروج من بيئته لمواجهة الوحوش، التي تجول دون لقائه حبيبته إيمي. أثناء المواجهة، يلتقي أصدقاء غير متوقّعين، يُساعدونه على إتمام مهمّته.

بيئة «كانّ 2021»: توثيق مَخاطر

بارِيس ـ **العربي الجديد**

تبتكر إدارة مهرجان «كانّ» السينمائي، الذي يُتوقّع أنْ تُقام دورته الـ74 واقعياً، بين 6 و17 يوليو/ تموز 2021، برنامجاً يعكس اهتماماً بالبيئة. الجديد في المسألة أنّ البرنامج خطوة أولى في هذا الاتجاه، من دون تأكيدٍ لاستمراره أو لا.

لكنّ المهرجان معنيّ بالبيئة سابقاً، باختياره «حقيقة مزعجة» للأميركي ديفيس غوغنهايم، مع آل غور، لعرضه خارج المسابقة الرسمية، في الدورة الـ59 (17 . 28 مايو/ أيار 2006)، بالإضافة إلى أفلامٍ مُنتجة بفضل ليوناردو دي كابريو، المهتمّ بالبيئة منذ سنين عدّة.

في دورته المنتظرة بعد أسابيع قليلة، يلتزم مهرجان «كانّ» شروطاً صحية مختلفة، بسبب كورونا، علماً أنّ «بيئة الأمل» تحضر أيضاً على شاشات شاطئ الـ«كروازيت»، كما في بيان لإدارته: «لتجسيد هذا الالتزام سينمائياً، تقترح الدورة الـ74 أفلاماً تتناول موضوع البيئة». روائيّ واحد، و6 وثائقيات، بدءاً من «الحملة الصليبية» (2021) للوي غاريل (تمثيل غاريل ولايتيثيا كاستا وجوزف أنجل): حكاية الفيلم (يُشارك غاريل في كتابته مع جان . كلود كاريير، الراحل في 8 فبراير/ شباط 2021) مُضحكة، عن أطفالٍ يستولون على السلطة، ويترقّبون كيف سيُصلح الكبار أحوال الدنيا.

إليه، تُعرض وثائقيات مختلفة: «المشي على المياه» (إنتاج مشترك بين النيجر وفرنسا، 2019) لعايشة مايغا: بين عامي 2018 و2020، تُصوّر المخرجة قرية في النيجر، ضحية الاحتباس الحراري، وتُرافق فتاة صغيرة تُضطرّ إلى المشي أميالاً عدّة للحصول على المياه، بانتظار انتهاء أعمال حفر بئر ارتوازية.

و«شياطين غير مرئية» (الهند، 2021): عن التلوّث في الهند. و«حيوان» (فرنسا، 2020) لسيريل ديون: تحذير من انقراض أنواع حيّة، بمرافقة مراهقين يطرحان أسئلة عن انهيار التنوّع البيولوجي، ومحاولة البحث عن حلول.

و«أنا متأسّف للغاية» (الصين، 2021) لزهاو ليانغ: عن المخاطر النووية. و«أكبر منّا» (فرنسا، 2021) لفلور فاسّور: ناشطون يناضلون من أجل المناخ والعدالة الاجتماعية والحقوق الأساسية كحرية التعبير والحصول على الغذاء والتربية. و«نمر الثلج» (فرنسا، 2020) لماري أميغي: عن التيبت وعالمها الحيواني.